العدل الإنساني في القرآن الكريم (دراسة في المنهج التربوي)

المدرس المساعد
وفاء سليم حسن
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ونستغفرهُ ونتوب إليهِ ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سوء أعمالنا ونشهد أنهُ لا أله إلا الله ونشهد أنّ محمداً عبدهُ ورسوله ﷺ صلاة تقرّ بها عيونهم وتقرّبنا من شفاعتهم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

إن ما أثاره القرآن الكريم من ان العدل هو الأساس في كل الرسالات التي أوحى بها الله سبحانه وتعالى إلى رسله فيما انزل من كتاب وفيما نصب من ميزان وفيما ركز من بينات فلا بد لنا من التركيز على هذه المسالة لأنها تمثل خطاً إلهيا رسالياً.

يؤكد أن كل الديانات التي انطلقت في حركة الأنبياء كانت مرتكزة على العدل فمن لا عدل له لا دين له. سواء كان من أتباع نوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى أو نبينا محمد ﷺ، أذن ما هي مهمة النبوات في حركة الرسل؟ هل هي مهمة روحية مجردة يستغرق فيها الإنسان ف الأجواء الروحية الغارقة في عالم الغيب، الذي ينفح على الله في حركة عبادية خالصة تقتصر على الوجدان والشعور، لتكون النبوات حركة دائرة العبادة تتمثل في الصلاة والصوم ونحوها بحيث يكون الإنسان الرسالي المؤمن المتدين هو الإنسان الذي يمارس فروض العبادة سواء كانت فروضا محددة مقننة أو فروضا منفتحة مطلقة كما هي حالات الدعاء والابتهال وما إلى ذلك وإذا انطلق الإنسان منها فله أن يأخذ حريته في كل ما يتحرك به في الحياة في حاجاته وشهواته وأطماعه أو فيما يتحرك به في علاقاته مع الناس الآخرين في شؤونهم الاجتماعية والمادية والسياسية وما إلى ذلك بحيث يكون عبدا الله في العبادة ويكون حرا في المعاملة وفي حركته في العلاقات مع الناس، أم أن مهمة الأنبياء هي مهمة حياتية تمتد إلى كل جوانب حياة الإنسان ليربط الجانب الروحي بالجانب المادي في حالة التوازن في الكلمات والمواقف والعلاقات بحيث لا يطغى جانب في الحقوق والواجبات

لان التوازن هو الذي يحقق السلام للناس في أوضاعهم الإنسانية في ما يأخذون به وفي ما يتركونه فيأخذ كل واحد منهم حقه ولا يطغى احد على حق بالأخر فيما توحي به كلمة العدل من المعنى التشريعي الذي يحدد لكل ذي حقا حقه، ويربي الناس على السير في هذا الاتجاه ليكون الإنسان العادل الذي يطبق الشريعة العادلة ويبني الحياة على أساس العدل.

المبحث الأول

منهج العدل في القران الكريم

أولاً: النبوة في رحاب الحياة.

إن قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] هو تأكيد على المعنى الذي يجعل من الرسالة حركة في الواقع وليس مجرد حركة في الروح عندما تعيش في داخل الكيان الإنساني فأنها تفتح للإنسان كل أفاقه على الحياة الواقع لان الروح ترتفع إلى الله لتقترب منه في كل ما يحبه ويرضاه ومن الطبيعي ان الله خلق الإنسان في الأرض ليكون خليفته الذي يطبق أراداته في أشاعه الإسلام وفي تقوية إنسانيته الإنسان وتنميتها في علاقته بالإنسان الآخر وبالحياة كلها.

فما هي البينات التي ذكرتها الآية الشريفة؟ المقصود بها ما يقدم للعقل من الحقائق العقيدة وجبرية الشريعة بالأدلة الواضحة التي تسقط أمامها كل الشبهات فالله لا يريد للإنسان ان يؤمنوا إيمانا أعمى ان يسلموا بالفكرة دون قناعه فكرته مرتكزة على الحجة والبرهان تظر ما يتحدث به بعض فلاسفة المسيحية حول توجيه كيفيته اجتماع مسألة التثليث مع التوحيد، فهم يقولون باسم الأب وابن والروح القدس الهاً واحداً.

ويعتبرون أنفسهم موحدين على أساس التقاسيم الثلاثة فيصرح بعضهم بان الإيمان فوق العقل ومعنى ذلك ان نؤمن بهذه الفكرة حتى لو لم يقدنا العقل إلى الإيمان بها.

إننا كمسلمين نعتقد الإيمان لا بد من ان يمر من طريق العقل وان حقانية أي فكرة يعني أنما ترتكز إلى دليل وبرهان يثبتها فالإسلام لا يريد الإيمان الذي لا يرتكز على حجة ولا على برهان ولا يوحي للإنسان باحترام نفسه وعقله، فاذا كنت تريد ان تحترم نفسك فلا تدخل في قناعاتك أي شيء لا تملك دليلاً عليه ولذا ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا

الأَلْبَابِ﴾[٢] يغي أو العقول لانهم يحركون عقولهم في كل ما يذكرهم بالحقيقة وفي كل ما ينفتح بهم على الفطرة فإيماننا حركه فكر وليس مجرد حركة شعور بل ان الفكر يلج العقل ليتحول إلى حاله إيمان فالإيمان حركة العقل في الانفتاح على الحقيقة.

وقد لا تكون مفردات الايمان عقلية في ذاتها بل يكفي ان تكونه عقلية في مرتكزتها ومواقعها الفكرية فنحن نؤمن بالله لأننا نرى أسرار عظمته وامتدادات نعمته وحركة نظامه في الكون وفي حركة الإنسان ونعرف ان هناك خالقاً حكيما قائدا قوياً ولذلك ورد عن الرسول ﷺ: (تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا)[٣] وقال الامام الصادق عليه السلام (وإياكم التفكير بالله، فان أكثر التفكير في الله لا يزيد الا تيهاً ان الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بقدار)[٤].

ثانياً: عقلانية الإيمان:

ويقول الله في كتابه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[٥] لأن التوحيد ينطلق من البينات، مرتكزا على ذلك على مخاطبة عقول الناس لا مخاطبة مشاعرهم وغرائزهم، ثم يقول تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾[٦] وهي صحف ابراهيم عليه السلام وصحف موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام والقران الكريم وكل ما انزله الله من مفردات الوحي الالهي في المفاهيم العامة للدين وفي الشرائع التفصيلية لحركة الحياة في نظامها العملي وهذا ما يؤكد ان لما من رسالة نزلت ألا وهي تتضمن كل التفاصيل مسؤوليته الإنسان في الحياة في علاقته بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بالناس كافة علاقته بالحياة وبكل الموجودات التي تقع تحت سلطته ولا نوافق على الكلمات التي تقول ان الرسالة النبي موسى عليه السلام كانت رسالة مادية تتضمن الشريعة وان الرسالة عيسى عليه السلام كانت روحية لا تتضمن الشريعة.

إن كل رسول انطلق فأي ما جاء به الكتاب الذي يتضمن ما يريده الله للإنسان من كل تفاصيل المسؤولية في كل جوانب حياته الخاصة والعامة وعندما جاء السيد المسيح عليه السلام قال (جئت لا كمل القاموس) وعلى لسان القران: و﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[٧] بمعنى انه يجمع اليه والى دعوته ورسالته التوراة والإنجيل وذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا﴾[٨] فليس هناك فراغ في اية رسالة من الناحية الشريعة، فكل

رسالة تتضمن الشريعة فيما يريد الله الإنسان ان يتحمل مسؤولية في مجالها وخصوصاً ان الله عز وجل قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٩] ومن الطبيعي ان الخليفة هو الذي يتحرك من اجل ان يعمر الارض ومن اجل ان يبني فيها الإنسان قيمة، في كل ما يرتفع بمستواه على مستوى الثقافة والاقتصاد والاجتماع والسياسة.

وانزلنا معهم الكتاب والميزان الذي يزن الامور كما هو الميزان الدقيق الذي لا تختلف فيه المقادير. وليس المقصود به الميزان المادي، وانما هو الميزان المعنوي الذي يمثل الخط الفكري والعملي الذي يزن القضايا و الاوضاع والمواقف والكلمات، ليمنعها من الاختلال والانحراف عن الخط المستقيم ليعرف كل إنسان من خلال دورة العملي فيما له من حقوق وما علية من واجبات تجاه ربه ونفسه وحياة الناس من حوله ويتصور على هذا الأساس، وان الحياة ليست هي الساحة التي يتحرك فيها الفرد في أنانيته الذاتية، فيما قد يتخيله من انه وحدة صاحب الحق في كل مواضعه، كل هي ساحة الساحة التي تمتلك فيها كل إنسان موقعا خاصاً فيما يريد ان يأخذ من أوضاعها العامة والخاصة فيدرك أنها تتسع له والآخرين لان الله قد أودع في هذه الأرض لكل إنسان ما يستطيع ان يؤمن له حياته ولكن طغيان البعض هو الذي يمنع الناس من ان يأخذوا حقوقهم ليتحول ذلك إلى واقع عملي يحقق للحياة نظامها المتوازن الذي يحفظ لها سلامة وجودها في دائرة التكامل العملي.

ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي ترتكز عليه السلامة الحياة الفردية والاجتماعية فيما يؤكده من خضوع الناس للخط الواحد المتوازن الذي تلتقي فيه حقوقهم جميعا على أساس التشريعات التفصيلية التي تنظم لهم كل ذلك على المستوى العلاقات والمعاملات والإعمال والأقوال.

المبحث الثاني

صورة العدل في التشريع

حكومة العدل:

قد يمكن الفهم من هذا الهدف الرسالي الذي عبرت عنه الآيات القرآنية وهو إقامة العدل.

إن مسألة الحكم والتشريع هي مسألة الأساس في كل دين انزله الله.

باعتبارها القاعدة التي من خلالها يتحرك المنهج الذي يقوم عليه العدل في الحياة الناس، فانه لا معنى لحركة العدل في الواقع من دون شريعة تنظم له خطوطه أو حكم يشرف على إدارته وتنفيذه أو سياسة تدير أوضاعه في ساحة الصراع وفي حركة الحكم أمام التحديات وفي سلامة الخط في أجواء الانحراف وبذلك تكون هذه الآيات دليلا على الاندماج السياسة في حركة الدين وعلى انطلاق الدين في أفاق الحكم، ردا على الذين يعتبرون ان الدين هو حالة روحية ذاتية في علاقة الإنسان بربة بعيدا عن كل أوضاع الحياة المادية في تعقيدها التفصيلية وفي مشاكلها المتنوعة المعقدة. ان توضيح ذلك ان الله انزل الدين بهدف قيام الناس بالعدل والسؤال: هل يمكن هناك عدل في الحكم وعدل في القانون والعدل في حركة الواقع وعدل في علاقات الناس مع بعضهم البعض وعدل في علاقات المجتمع بالمجتمعات الأخرى من دون سياسة؟

من خلال السياسة يتم تحديد مواصفات الحاكم وشخصيته، ومن خلالها يتم تنظيم القانون الذي يحكمه، والسياسة هي التي تنظم للإنسان حقوقه التي تربط مجتمعاتها بعضها ببعض، والسياسة هي التي تؤكد العلاقات مع الشعوب الأخرى والسياسة هي التي تخطط للمجتمعات ما يحفظ لها مصالحها. ويطور لها مقدراتها وما إلى ذلك.

ولذلك فان عزل الدين عن السياسة هو عزل للدين عن ذاتياته وعزل له عن الخط الذي أراد الله للإنسان ان يعشه في التزاماته الدينية ليكون قريبا من حيث هو قريب من الناس والحياة، ومن هو امين على الناس والحياة في اعطاء كل ذي الحق حقه.

١. قيمة العدل:

وفي هذا المجال يطور الأمام علي عليه السلام قيمة العدل في حركة الإنسان في الواقع، وما هي نتائجه الايجابية التي يمكن للإنسان ان يعيشها وان يأخذ بها في كل اوضاعه العامة والخاصة فيقول حسب الرواية عنه عليه السلام (العدل اساس به قوام العالم)[١٠]، وان الامام علي عليه السلام يؤكد ان الاستقرار العالم وحركته ونطوره وانما يتوقف على العدل، لان العدل يجعل كل إنسان يشعر بانه يأخذ حقه في المجتمع ينفتح عليه وعلى كل اوضاعه ولذلك فلا يشعر أحد بالغبن والحرمان، ولا سيما ان العدل عندما يتحرك في عالم النظرية والتطبيق، فانه يشمل حقوق الفرد في نفسه على الفرد الآخر وحقوق المجتمع على الافراد، لان الإسلام يؤكد التوازن

بين حقوق المجتمع وحقوق الامة وحقوق الافراد، فينطلق حق الفرد، حتى إذا وصل إلى حق المجتمع، فان حق الفرد يتجمد لمصلحة حق المجتمع ولذلك فان العالم الذي يقوم على أساس العدل هو العالم الذي يملك الاستقرار النفسي والروحي والحقوقي في حركة الإنسان في كل أوضاعه وفي كل علاقاته وفي كلمة أخرى عنه عليه السلام: (ان العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق ونصبه لإقامة الحق) فالحق يحتاج إلى الية، لان الحق هو فكرة والحق هو القانون ولذلك لا بد له من ان يتركز في الواقع، من خلال الالية التي تضعه في مواضعه وهذا هو دور العدل، لان العدل يعطي لكل ذي حق حقه.

فلا تخالفه في ميزانه فتتبع ميزاناً غير دقيق قد تؤدي بل إلى الباطل، ولا تعارضه في سلطانه لأنك إذا اخذت بالظلم وتركت العدل فانك بذلك ترتبط بالباطل وتتمرد على الله فيما اراده للإنسان من اقامه العدل في الحياة.

وعن علي عليه السلام أيضاً (العدل أفضل السياسيتين) لان السياسة تساعد على تنظم الناس أوضاعهم وتجعلهم يتحركون في خط التوازن فيما يتمثل في علاقاتهم ببعضهم البعض من تبادل الحقوق على خط مستقيم ويقول عليه السلام (بالعدل تصلح الرعية) لان الظلم يؤدي إلى الحقد والعداوة والفساد حيث يشعر كل إنسان بانه مضطهد في مجتمعه وبانه مظلوم في حركة الناس في قضاياه: ويقول عليه السلام (ما عمرت البلاد بمثل العدل) لان العمران الإنساني والاجتماعي والعمران القانوني حتى العمران المادي، انما ينطلق من خلال الخطوط المستقيمة التي ينقسم عليها الناس للوصول إلى ما يحقق لهم نتائج الايجابية في حياتهم.

ويقول عليه السلام (العدل يضع الامور في مواضعها) لأنه يدرس الامور الموجودة في المواقع فيعطي كل امر موضعه. فيما يحتاجه الناس أو فيما يلتزمونه.

وقال عليه السلام عندما تسلم الخلافة وكان عثمان من خلال حاشيته قد قطع الناس اقطاعات من أراضي المسلمين ومن أموالهم وحركها في غير مصلحة المسلمين الذين يملكونها، قال عليه السلام (والله لوجدته) يعني هذا المال (قد تزوج به النساء، وتملك به الإماء، لرددته، فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) فهو عليه السلام يؤكد ان العدل يتسع للناس كافة لأنه يعطي لكل إنسان حقه ولا يظلم الناس في حقوقهم وقد ورد ايضا عنه عليه السلام

(أعدل الناس من أنصف من ظلمه)[١١]، فقد يظلمك إنسان في نفسك وفي مالك وفي أهلك ثم يكون له حق عندك فان عليك إذا أردت ان يكون اعدل الناس ان لا تظلم من ظلمك بل ان تعطيه حقه وان لم يعطك حقك لان العدل هو الأنصاف.

إن الإمام يركز في هذا المجال انه لا بد من ان تتحرك الدولة على أساس هذا النوع من تعاون الرعية مع الوالي، فالوالي حق على الرعية وللرعية حق على الوالي كما كان الامام يتحدث مع الذين تسلم الحكم من اجلهم إذ انه كان يتحدث عن حقهم عليه وحقه عليهم وكان يقول لهم عليه السلام (ليس أمري وأمركم وأجرا أنني أريدكم الله وانتم تريدونني لأنفسكم)[١٢].

٢. العدل الشامل:

تحدثنا فيما سبق عن العدل كأساس في حركة الأديان كلها ونحاول هنا ان نتابع آيات القرآن التي تعالج موضوع العدل... يقول سبحانه تعالى - وهو يتحدث عن العدل في القول ﴿وإذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[١٣]، وان الله يؤكد من خلال هذه الفقرة في الية ان في القوب عدلا وظلماً.

فالعدل في القول هو الاستقامة في التعبير عن الواقع من دون زيادة أو نقصان بحيث انك إذا سمعت الكلمة انفتحت على الواقع الذي تعالجه سواء كان هذا الواقع متصلا بالأحداث التي تتحرك في حياة الناس، أو مرتبطا بالتقويم للناس هنا وهناك أو كان منفتحاً على المسائل العقيمة في مفاهيمها أو الشريعة في خطوطها وما إلى ذلك، فاذا أردت ان تتحدث عن قضية تتصل بالناس من خلال المصالح، أو من خلال الانتماء فعليك ان لا تدفعك العاطفة إلى ان تقدم النظرة عنهم بطريقة لا تنسجم مع طبيعة ما يمتلكون من قيمة سواء كانت سلبية أو ايجابية لذلك فان الله يقول لك إذا أردت ان تتكلم في عملية تقويم أو عملية شهادة فان عليك ان لا تنظر إلى علاقة القرابة بهم وان لا تسقط امام انفعالاتك العاطفية، بل عليك ان تنظر إلى أيمانك والى علاقتك بربك الذي يريد لك ان تكون عادلا في كلامك فلا تظلم الحقيقة لمجرد انك تريد ان تكرم قرابتك، وقد ربط النبي صلى الله عليه وآله هذه المسألة بالأيمان، ففرق بين المؤمن وغير مؤمن بالعدل في الكلمة في المواقع السلب والمواقع الإيجاب فقال صلى الله عليه وآله (أنما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في الم ولا في باطل) يعني ان المؤمن

هو الذي إذا رضي عن شخص أو أحب شخص فانه يبقى متوازناً في الكلام عنه، فاذا كان هذا الإنسان يستحق عشرة في المئة فلا يعطيه عشرين في المئة لان العشرة الزائدة تكون كذباً وانحرافاً عن الحق والكذب معصية الله وباطل ضد الحق، وهذه المسألة تمتد إلى كل المجالات العلاقات العاطفية.

وإذا كان ذلك في علاقاتك بمقدساتك، فلابد لك ان تقف مع مقدساتك على اساس الاعتدال فلا ترتفع بالقداسة إلى حد العلو، كما يفعل الغلاة الذين يعطون الشخصيات المقدسة عندهم بعض الصفات التي قد يقتربون بها في مواقعهم إلى مواقع الله وقد توجه القرآن الكريم إلى اهل الكتاب بقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[١٤]، يعني ابقوا على خط الاعتدال في دينكم فلا تعطوا السيد المسيح عليه السلام صفة الربوبية لان هذا يمثل غلوا وقد جاء في حديث الإمام علي عليه السلام (هلك في اثنان محب غال، ومبغض قال)[١٥]، فالأول أحب الإمام عليه السلام إلى الدرجة التي فقد فيها توازنه والثاني ابغض الإمام عليه السلام حتى اعرض عنه وابتعد عن درجته الحقيقية وكان الأئمة عليهم السلام ينمون الذين يغلون فيهم، إذا كانوا يريدون لمن يتبعهم وان يقفوا موقف الوسط في تصوراتهم لهم في سلوكهم معهم، وهكذا عندما تمتد إلى ارتباطاتنا بالمرجعيات الدينية هذه المرجعيات في تقويمنا لها ما تملكه من العلم، فلا نزيد عليه بإعطائها ما لا تملكن ذلك، لان المرجعية الدينية تمثل اختصاصا بالفقه والأصول وقد جاء في الحديث الشريف عن صفة الشخص العادل، ومن هو العادل؟؟ يقول صلى الله عليه وآله (من عامل ولم يظلمهم، وحدتهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته)[١٦]، فالعدالة هي ان تملك خط الاستقامة بحيث تنطلق من خلال الحقيقة التي تربطك بالناس فيما تلتزمه معهم وفيما تحدثهم عنه.

٣. العدل هو الاستقامة:

وعلى هذا الأساس أيضاً يمكن ان تدخل مسالة الصدق والكذب في مسالة العدل لان عندما تصدق في كلامك، فانك بذلك تستقيم في إظهار الحقيقة التي تعرفها وعندما تكذب في كلامك، فانك تنحرف عن الحقيقة، وبذلك تظلم الحقيقة عندما تنحرف عن عناصرها الواقعية في هذا المجال أو ذاك ومن هنا ورد عندنا في الحديث (لا يكذب الكاذب وهو مؤمن) فان الكذب لا يجتمع مع الايمان باعتبار ان الايمان يمثل الارتباط بالواقع والكذب

يمثل بالباطل وهكذا عندما مل يقدم بعض القيادات السياسية إلى الناس أو غيرها أنفسهم إلى الناس فأنهم يتحركون فيما يعدون به الناس إذا أيدوهم أو إذا انتخبوهم ثم يقلبون لهم ظهر المجن وقد أدخل الإسلام هذا المعنى تحت عنوان الاستقامة: (أنما المؤمن الذي إذا ارضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل وإذا اسخط لم يخرجه سخطه عن قول الحق)[١٧]، يعني إذا عاديت شخصاً وخاصمته وسخطت عليه، فان عليك ان لا تغمطه حقه، بل ان تتحدث عنه بما هو فيه حتى ولو كان على خلاف مزاجك وهذا ما عبرت عنه الآية التي تحدثنا عنها سابقاً ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[١٨]، وعلى ضوء هذا فان الإنسان المؤمن ان يكون متزازناً في مسألة العدل بان يراقب الله ولا يراقب الناس في ذلك كله سواء في حركة الواقع فيما يتحدث به الإنسان، أو في حركة السياسة أو في حركة الاجتماع أو في الدين فيما ينقله الناس من قضايا بالعقيدة فينحرفون عن خطواتها الاعتدالية من خلال العاطفة والمحبة والولاء يبقى ان نشير إلى هذا الأمر قد يبتلى به الكثيرون ممن يتحدثون في السيرة، ولا سيما السيرة الحسينية فيتحدثون بغير الحق وبعيدا عن التوازن والاعتدال لا نهم يريدون للناس ان ينفعلوا عاطفياً حتى بالأكاذيب وبالمحرمات فأنهم يسيؤون إلى الرموز التي يتعرضون لسيرتهم من حيث لا يشعروا ان معنى العدل هو الاستقامة ولذلك لابد لك من ان تستقيم على خط الذي يبدأ من الحقيقة وينتهي اليها ان تستقيم في كل شيء وقد أمر الله نبيه ﷺ وهو المعصوم بذلك فقال تعالى: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[١٩].

وقد حدثنا الله تعالى عن الذين استقموا بان الموقع القريب من الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٠]، ان تكون عدلا يعني ان تكون مستقيماً لأنه تعالى، وعلى ضوء ذلك نضيف تأكيدا لذلك - ان الله نهاناً ان تقبل قول الغاسق من دون تثبيت فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٢١]، أي إذا سمعتم كلاماً من شخص فادرسوا: هل هذا الإنسان يخاف الله في نفسه وفي الناس؟؟.

وهل انه يحترم الحقيقة في الكلمة التي ينقلها؟؟ أو ليس كذلك؟؟.

فإذا رأيتموه يتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى فيما يخبر به أو فيما يشهد به أو فيما ينقله فعليكم ان تتوقفوا عند سماعكم كلامه وان تتبينوا المسألة بوسائلكم الخاصة لأنكم إذا

لم تتبينوا ولم تتثبتوا منها فقد يدخلكم في معاقبة إنسان بريء فتندمون بعد ذلك حيث لا ينفعكم الندم وهذا ما يؤكده قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٢٢).

٤. مذهب العدالة:

لا نزال نتحدث عن موارد العدل في القرآن الكريم ومن تلك موارد العدل مع غير المسلمين، فقد نعيش كمسلمين مع اليهود أو مع النصارى أو مع البوذيين أو الهندوس أو غيرهم من أتباع الأديان أو من غير أتباع الأديان فكيف نتعامل معهم؟؟

هل نعتبر ان التزامهم بغير الإسلام يبرر لنا ان نشغل أموالهم ودماءهم وأعراضهم، وربما نجد في بعض الفتاوى الموجودة لدى الكثيرون ان الكافر لا عصمة له ايا كان الا إذا دخل في ذمة المسلمين من خلال القانون الذمة أو في عهدهم من خلال قانون المعاهدة وأما إذا لم يكن ذمينا فبناء على ان قانون الذمة مختص بأهل الكتاب، كما هو رأي بعضهم وكذلك قانون المعاهدة فالكافر ليس محترماً في هذه النظرية الاجتهادية، ولهذا أجازت بعض الفتاوى للمسلم الذي يذهب إلى الغرب أو إلى أي مكان اخر يسكنه غير المسلمين أجازت له ان يستحل أموال الآخرين من غير المسلين ولذلك نجد بعض المؤمنين يستحلون السرقة في المحال التجارية، أو الاستدانة من البنوك هناك ثم يهربون حتى أصبح المسلم المتدين في تلك المجتمعات (حرامي) شرعي إذا اصح التعبير.

إننا نرفض هذه الفتوى جملة و فصيلا ونحن نعتبر ان الله أرسل نبيه ﷺ بالصدق والأمانة وكانت عظمة النبي محمد ﷺ انه الصادق الأمين وكان مستودع الأمانات المشركين بالرغم من مواجهتهم له، وقد أبقى علياً عليه السلام في مكة بعد هجرته ليؤدي للناس أماناتهم وذلك من خلال القيمة التي أكدها الله تعالى في كتابه الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾(٢٣)، ولم يحدد أهل الأمانة بأنهم مسلمون أو غير مسلمين وقد ذم الله اليهود في القرآن الكريم بسبب استحلال أموال غير اليهود فقال تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾(٢٤).

ثم يعلل ذلك بان ليس لهم قاعدة للأمانة فقد تأمن شخصاً بقنطار ويودية إليك في

نهاية المطاف واخرتا بدينار لا يرجعه اليك (ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الامين سبيل)[٢٥]، والمقصود بالأمين في مصطلح اليهود من ليس يهودياً فكانوا يطلقون على العرب أسم الامين يعني غير اليهودي باعتبار انهم أهل الكتاب والكتابة والعلم وكاتن المشركون عندما يتحدثون مع اليهود يقولون لهم انتم أهل العلم الأول.

٥. الوفاء بالعهد:

في مقابل ذلك أعطانا الله سبحانه وتعالى قاعدة في تعاملنا مع غير المسلمين وذلك فيما جاء في سورة الممتحنة ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢٦] والخلاصة ان الآية تقول ايها المسلمون ان الله يريد لكم في تعاملكم مع الغير المسلمين ان تأخذوا بقاعدة العدل في كل مالهم من الحق بل واكثر من هذا المطلوب (ان تبروهم) ان تحسنوا اليهم والاحسان هو معنى يتحرك في مدى اوسع من العدل باعتبار انه يختزن معنى ان يعطي من نفسه للآخر.

إذا القاعدة العامة في تعامل المسلمين مع الغير المسلمين، هي ان كل شخص من غير المسلمين كان مسلماً للمسلمين ولم يعتد عليهم ولم يقاتلهم ولم يخرجهم من ديارهم ولم يعاون على اخراجهم فهو محرم للمال والدم والعرض.

٦. العدل في المعاشرة:

في موضوع العدل هناك آيتان في القرآن الكريم اتخاذا جدلا حتى قبل ان أحداهما تنافي الأخرى الأولى قوله تعالى ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[٢٧]، حيث تدل الآية هذه على انه يجوز لكم تعدد الزوجات بشرط العدل والا فمع خوف العدل فعليكم ان تقتصروا على زوجة واحدة اما الآية الثانية ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[٢٨] هذا الشيء غير ممكن لا تجعل علاقتك مع هذه المرأة الثانية والثالثة غير متوازنة بحيث تكون لا متزوجة ولا مطلقة كما هو الحال هجرة الازواج لنسائهم فكيف يجمع بين هاتين الآيتين؟

في الحديث عن الحديث عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه سئل عن مضى الأولى قال عليه السلام يعني في النفقة وعن معنى الآية الثانية قال عليه السلام يعني المودة فالآية الثانية تتحدث عن

العدل في النفقة بان تعطي كل لزوجة حقها لان هذا لا بد من العدل فيه بخلاف المحبة فهي ليست في يد الإنسان إذ ربما يحب زوجة أكثر من زوجة ولكن لا ينبغي ان يستغرق فمحيته، بحيث يعيش مع هذه الزوجة التي يحبها ويترك الاخرى ويهجرها.

إننا نستوحي من الآية الثانية انه إذا كان الزوج يحب زوجة فعليه ان لا يميل كل الميل ويهجر الاخرى لان المفروض في علاقة الرجل بزوجته ان تشعر معنى الزوجية معه، سواء كان ذلك في استمرار الاتفاق عليها، بما يجب لها من النفقة فلا يتفق عليها في زمان ليحرمها في زمان آخر، أو في معاشرتها في البيت، من حيث تواجده معها في حياة طبيعته فلا يسافر مدة طويلة ليتركها في وحدة موحشة كما لو لم يكن لها حق جنسي يلبي حاجتها ويعصمها من الانحراف ويحصنها بالعفة وهذا خلاف لما يعتقده بعض الناس، من ان الجنس من حق الرجل وحدة والمرأة ليس لها حق، خصوصا مع وجود بعض الفتاوى التي تقول ان المرأة لها حق الجنس كل اربعة اشهر مرة بمستوى العلاقة الجنسية من دون ان يعطيها حاجتها من الشهوة وما إلى ذلك.

ولكننا نتحفظ على التحديد الفهم بانحصار حقها كل اربعة اشهر مرة لان ذلك يجعلها كأنها معلقة من الناحية الجنسية، باعتبار عدم انسجام هذا الحد الزمني مع العلاقة الطبيعية للزوجة وراي الفقهي الذي يفتي به انه كما ان الرجل إذا اراد من زوجته تلبيه حاجته الجنسية فيجب عليها الاجابة، إذا لم يكن هناك مانع شرعي أو مانع جسدي فيجب عليه ان يستجيب لها، لان الزواج انما اشرع لتحصين الرجل والمرأة وعلى ضوء هذا ليس هناك تناف بين العدل في هذه الآية والعدل في تلك الآية فالعدل الايجابي هناك هو العدل في النفقة فليس للإنسان ان يتزوج اكثر من زوجة، إذا كان غير قادر على تلبية حاجاتها المادية، والعدل في الآية الثانية هو العدل في الميل القلبي وان لا يمنعه ميله لزوجة ان تلبي حقوق زوجة أخرى بقي ان نقول ان ظاهر الآية يدرك على ان الزواج الثاني مع عدم القدرة على الانفاق الغير جائز ولكن الفقهاء يقولون ان الامر في الآية ارشادي وليس مولويا يعني من باب النصيحة، ولكننا نتحفظ حول هذا الموضوع، لأنه مخالف للظهور القرآني فعلى كل رجل يريد ان يتزوج اكثر من امرأة واحدة ان يلبي حقوقها الزوجية ولذلك نجد ان الفقهاء يفتون ان الرجل إذا قصر في ان الرجل إذا قصر في الانفاق على زوجته حتى الواحدة فلها ان ترفع اقرها إلى الحاكم الشرعي وهو يخبره اما ان يقوم بحقوقها الزوجية من النفقة

والجنس أو ان يطلقها فاذا امتنع عنها يطلقها الحاكم الشرعي وعلى الهامش فان ما جرى في بعض البلدان الاسلامية التي حاولت ان تحرم قانون تعدد الزوجات استنادا إلى هذه الآية ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا.....﴾ هو امر غير سليم لان هذا الاستدلال غير صحيح.

وفي هذا المجال نجد الاب مثلا الذي يجب عليه ان ينفق على اولاده بالعدل نجده في بعض الحالات يفضل ولذا على آخر وقد يفضل اولاد الزوجة الثانية في بعض الحالات في الاتفاق فأحيانا ينفق على احدهم ولا ينفق على الآخر فانه بذلك يعتبر تقصيرا في النفقة وكذلك الامر بالنسبة إلى الزوجات، ولذلك من خلال ما تقدم نقول على الإنسان ان يفصل بين المشاعرة الشخصية التي قد تفصل بين شخصا على الآخر في ميزان العلاقات الإنسانية وبين العدالة في ميزان المسؤولية، بحيث لا يؤثر ميله القلبي على التزاماته وعدالته في نعامله مع الآخرين.

الخاتمة:

إذن على الإنسان الذي يتحمل مسؤوليته في حياة الناس ان ينتبه إلى هذه النماذج القائمة في المجتمع التي تعمل على تظليل القادة وبعادهم عن خط العدل بمختلف الاساليب والوسائل الضاغطة، وما يدفعنا إلى التدقيق في طبيعة الطروحات التي يطرحونها والشهادات التي يشهدونه بها ليكتشف الإنسان بعض الخفايا الدقيقة من وسائلهم ذلك ان القاضي لا بد من ان يكون عنده ثقافة اجتماعية يعرف بها الناس الطيبين من الخبثاء الذين يلعبون بالقضايا التي تتحرك في المجتمع ولاسيما التي تتصل بصورة العدالة الاسلامية مما هو مماثل لهذه القضية التي نزلت فيها هذه الآية ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٢٩]، فان الناس قد يتحمسون كثيرا لاتهام الاشخاص الذين يخالفونهم في العقيدة أو في الاتجاهات المتنوعة التي تقسم الناس إلى فرق واحزاب ولابد لنا في الوقت ذاته ان نثق بالله عندما نسير على خط المستقيم لتعرف انه سينقذنا من ضررهم كما انقذ رسوله، فلا يأخذنا الرعب والهلع من مكانتهم الاجتماعية في مواجهة كل خططهم الشيطانية بما يحفظ للعدل قوته ودوره في حفظ مصالح الناس.

Abstract

So the man who bears the responsibility for the lives of the people that pay attention to these existing models in the community working on the shading leaders and Avadhm line of Justice in various styles and means pressing, and what motivates us to scrutinize the nature of the propositions they come and certificates that witness it out to discover the man some quibbles minute of their methods so that the judge does not need to be to have a social culture is known by the good people of malicious who play the issues that are moving in the society, particularly that relate Islamic justice, which is similar to this case, which was revealed in which this verse (do not hurt you if you strayed from Ahtdeetm), the people may get excited much to charge people who Ikhalfonhm in doctrine or in trends varied that divide people into groups and parties, and we must at the same time that we trust in God when we walk the line straight to know that he will save us from Dhararham also saved his messenger, it takes us horror the panic of their social status in the face of all the diabolical plans of Justice in order to preserve its strength and its role in keeping the interests of the people.□

هوامش البحث

(١) الحديد: ٢٥.
(٢) الرعد: ٥٩.
(٣) البحار - ج٦٨ - ص٩١- ج١.
(٤) الكافي - ج٥ - ص١٨٢-ح٥.
(٥) الاعراف: ٥٩.
(٦) آل عمران: ٥٠.
(٧) آل عمران: ٥٠.
(٨) الصف: ٦.
(٩) البقرة: ٣٠.
(١٠) بحار الانوار - ج٢ - ص٢٣١.
(١١) بحار الانوار:ج٧٥- ص٢١٠-ج٣.

(١٢) نهج البلاغة - ص٢٩٩- ك١٣٦.
(١٣) سورة الأنعام: ١٥٢.
(١٤) المائدة: ٧٧.
(١٥) نهج البلاغة - ص١٧٩٩-ك١١٢.
(١٦) البحار: ج٧٢ - ص١٩٦ - ج٥.
(١٧) البحار: ج٧١- ص١٠-ح١.
(١٨) المائدة: ٨.
(١٩) هود:١١٢.
(٢٠) ـ الاحقاف: ١٣
(٢١) الحجرات: ٦.
(٢٢) الإسراء: ٣٦.
(٢٣) النساء: ٥٨.
(٢٤) آل عمران: ٧٥.
(٢٥) الممتحنة: ٨..
(٢٦) الممتحنة: ٩.
(٢٧) النساء: ٣.
(٢٨) النساء: ١٢٩.
(٢٩) المائدة: ١٠٥.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم خير ما نبتدأ به.
٢- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ).
الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري، دار الكتب الاسلامية، ط٢، ١٣٩٨هـ.
٣- نهج البلاغة: خطب الامام علي عليه السلام، مجموعة مصادر الحديث الشيعية، تحقيق الشيخ محمد عبده، ط١، ١٤١٢هـ.